نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيِّ

www.nokbah.com



صفر 1433 هـ | 01 - 2012 م

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

تفسير سورة الفاتحة

لفضيلة الشيخ

خالد الحسينان (حفظه الله)







إنتاج : مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

النوع : إصدار مرئي

المدة : ١٥ دقيقة

الناشر : مركز الفجر للإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيِّ

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

يقدم

تفريغ (درس دعوي 9)

تفسير سورة الفاتحة

للشيخ / خالد الحسينان (حفظه الله)

الصادر عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

22 صفر 1433 هـ

15/01/ 2012 م

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا مباركًا طيِّبًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.
في هذا اللقاء سوف أتكلم عن أعظم سورة في القرآن:

(تأملات في سورة الفاتحة)

هذه السورة التي تُسمي بأمِّ القرآن أو أمِّ الكتاب، لماذا سُمِّيت أمَّ الكتاب؟
كما ذكر الإمام البخاري قال: لأنه يُستفتح أو يُكتب بها في بداية المصحف وتُبدأ بها في الصلاة، وهي تُسمَّى الكافية والشافية والواقية، وتُسمَّى الصلاة، وتُسمَّى سورة الحمد، وغير ذلك من السور.

من فضل هذه السورة أن الله سبحانه –أو من أهميتها– أن الرسول عليه السلام أوجبها في كل ركعة، قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصلاته خداج خداج خداج" يعني: ناقصة، النبي صلى الله عليه وسلم –كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس– مرَّةً كان جالسًا مع جبريل عليه الصلاة والسلام فسمع نقيضًا من فوق، فنظر جبريل إلى السماء، فقال جبريل للنبي عليه السلام: "هذا بابٌ فُتح من السماء ما فُتح قبل –أو لم يُفتح قط، الآن أول مرَّة يُفتح، تصوَّروا منذ أن خلق الله السماوات لم يُفتح هذا الباب من السماء، الآن فقط فُتح– ونزل منه ملك" فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك –الله أكبر– سورة الفاتحة وخواتيم –أواخر– سورة البقرة"؛ "سورة الفاتحة": إذن سورة الفاتحة هذه عظيمة.

نبدأ الآن –باختصار شديد ويسير–؛ لأن الفاتحة تتكرر كل يوم مع المسلم في صلاته فلا بد أن المسلم يتعرَّف على معاني الفاتحة.
سورة الفاتحة أحبابي الكرام؛ اشتملت على توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.
سورة الفاتحة؛ فيها إثبات للمعاد واليوم الآخر والجنة والنار والحساب.

سورة الفاتحة؛ فيها توضيح للطريق المستقيم الذي يُحبه الله ويرضاه، والتحذير من سلوك طريق المغضوب عليهم والضالين.

والآن نبدأ –باختصار شديد وبإيجاز–؛ يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ –الله أكبر– الله عز وجل –يا أحبابي الكرام– يُثني على نفسه، ويُعلِّم عباده أن يُثنوا عليه فيقولوا: ﴿الحَمْدُ للهِ﴾، ما معنى الحمد لله؟ الحمد لله أي: الثناء على الله.

﴿الحَمْدُ﴾ الألف واللام للاستغراق فجميع أنواع الحمد لمن؟ لله عز وجل، ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ فأنت تحمد الله عز وجل بما له من صفات الكمال والجلال سبحانه وتعالى.

﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ الربُّ: هذا كذلك من أسماء الله سبحانه وتعالى، فالربُّ من اتصف بثلاث صفات: الخلق والملك والتدبير، فالله خالق كلِّ شيء، وهو مالك كلِّ شيء، وهو مدبِّر كلِّ شيء، فالله عز وجل بيده الملك كلُّه، وله الحمد كلُّه، وبيده الخير كلُّه، وإليه يُرجع الأمر كلُّه سبحانه وتعالى.

﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾؛ ﴿العَالَمِينَ﴾ من هم العالمين؟ العالمين هم كلُّ من سوى الله، كلُّ من سوى الله يُعتبر من العالمين: الجن والملائكة والإنس والبهائم والحيوانات و... كل ما سوى الله يُعتبر من العالمين، ولماذا سُمُّوا عالمين؟ لأنهم علامة على وجود الله سبحانه وتعالى ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، ولهذا جاء في الحديث القدسي –الذي رواه مسلم في صحيحه– أن الله سُبحانه وتعالى يقول: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي" الله أكبر، الله يهتمُّ بصلاتك، الله يُجاوبك، فلهذا من السنَّة أن الإنسان يقرأ الفاتحة آيةً آية، بخلاف بعض الناس يقرأ الفاتحة بنَفَسٍ واحد؛ لا! تستشعر هذه المعاني: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ وتتوقف تستشعر أنَّ الله يقول لك: حمدني عبدي، "﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجَّدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل"، فأول ثلاث آيات من الفاتحة ثناءٌ وتمجيدٌ وتعظيمٌ وتقديسٌ لله عز وجل، وآخر ثلاث آيات سؤالٌ دعاءٌ من العبد لربه سبحانه وتعالى، وهذا من آداب الدعاء أن الإنسان يبدأ بالثناء على الله عز وجل ثمَّ بعد ذلك يسأل ربَّه عز وجل ما يُريد.

ف﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ عرفنا معناها.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كما قال ابن عباس –رضي الله تعالى عنه–: "اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر"، فالرحمن: هو ذو الرحمة الواسعة، والرحيم: ذو الرحمة الواصلة، فهنا تسأل الله ﴿الرَّحْمَنِ

(الرَّحِيمِ)، وينبغي علينا أن نُفعِّل هذه الصفة في دعائنا ومناجاتنا لربِّنا سبحانه وتعالى، الله في القرآن وصف نفسه وحدَّثنا عن نفسه فقال أنه سبحانه وتعالى: أرحم الراحمين، وبأنه: خير الراحمين، وبأنَّ رحمته: وسعت كلَّ شيء فلهذا ينبغي في دعائنا أن نسأل الله بهذه الصفات: "يا أرحم الراحمين، يا خير الراحمين، يا من رحمته وسعت كلَّ شيء"، بعدين تسأل ما تشاء؛ لأن الإنسان ما يستطيع أن يستغني عن رحمة الله عز وجل في جميع أموره وأحواله وشؤونه، فلولا رحمة الله عز وجل لما اهتدينا ولما صلَّينا ولما قمنا بأي عمل نريده، لكن رحمة الله سبحانه وتعالى.

الآية الثالثة (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أي: أنَّ الله مالك يوم الدين، الدين: هو يوم القيامة، يوم الجزاء، يوم الحساب، الله هو مالكه، الله مالك الدنيا والدين، مالك الدنيا والآخرة سبحانه وتعالى، فتستشعر هذا كأنه تخويفٌ من الله، ترهيب، من قبل (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ): ترغيب، (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ): ترهيب، الله عز وجل يُحذِّرك: الله مالك يوم الدين؛ فاحذر يا عبد الله واتخذ الاحتياطات كلَّها ألاَّ يغضب عليك ربُّك سبحانه وتعالى، وكما قال عمر بن الخطاب: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن تُوزن وتهيؤوا للعرض الأكبر"، لا بدَّ أن نحسب ألف حساب لذلك اليوم العظيم الرهيب العصيب.

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ).

ثم قال سبحانه وتعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)؛ الله أكبر، توحيد الربوبيَّة، توحيد الألوهيَّة، (إِيَّاكَ): حصر، وكرَّرها من باب الاهتمام والحصر، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): فإيَّاك يا ربّ نعبد وحدك لا شريك لك؛ فهذا فيه رفض للشرك بجميع أنواعه وأشكاله وصوره، فأنت تقول: يا ربّ أنا وحدك أعبدك؛ هنا تخاطب الله: يا ربّ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ): أعبدك وحدك لا أخضع إلا لك، ولا أسجد إلا لك، ولا أخاف إلا منك، ولا أخشى إلا منك، ولا أتوكل إلا عليك، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ): فتستشعر العبادة لله عز وجل ونحن ما خلقنا الله عز وجل إلا لعبادته، كم من إنسان يقول بلسانه: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وهو عنده معبودات كثيرة؛ يعبد المال، يعبد المنصب، يعبد الدنيا، "تعس عبد الدينار" كما قال النبي على صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم"، يعبد الشهوة، لا حول ولا قوة إلا بالله، وهو بلسانه يقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) لكن الحقيقة الواقعية: لا، هو يعبد ماذا؟ يعبد نفسه وهواه وشيطانه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الله أكبر، كرَّر (إِيَّاكَ) من باب الحصر والاهتمام: نستعين بك وحدك لا شريك

لك، فيا ربّ إن لم تُعنِّي فمن الذي يُعينني؟ أنا لا أستطيع أن أقوم بأي عمل من الأعمال سواء كانت دينية أو دنيويَّة إلاَّ بعد توفيقك ورحمتك وهدايتك وكرمك وفضلك سبحانه وتعالى، فأنت دائمًا تستشعر الاستعانة بالله عز وجل في كلِّ صغيرة وكبيرة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: فالله بيده الأمور كلُّها، بيده الخير كلُّه سبحانه وتعالى، وهذا فيه التبرؤ من الحول والقوة، الآية الأولى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه التبرؤ من الشرك، تتبرأ من الشرك تبتعد من الشرك، وهنا ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تتبرَّأ من ماذا؟ من الحول والقوة، من حولك وقوَّتك، أنا عبدك الفقير المذنب لا حول لي ولا قوة، ولا خير ولا توفيق إلاَّ بك وحدك لا شريك لك.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: لا بدَّ أن نقرأ هذه الآية من قلوبنا لا نقولها فقط من ألسنتنا، هذه مشكلة كبيرة أن الناس يقرءون الفاتحة بألسنتهم لا يقرءونها بقلوبهم، هذه الفاتحة العظيمة الذي قال بعض السلف: إنَّ سرَّ القرآن كلّه في الفاتحة، ثمَّ قالوا: سرُّ الفاتحة كلّه في هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كلُّ الدين مبني على هاتين الكلمتين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا بد أن نقولها وأن نستشعر المعاني العظيمة الجليلة التي في هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الآن في آخر ثلاثة آيات العبد يسأل ربَّه ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ تسأل الله، تسأله ماذا؟ الهداية، إلى ماذا؟ إلى الصراط المستقيم، هداية التوفيق وهداية الدلالة، هداية الإرشاد، تسأل الله الهداية في كلِّ أمورك وفي كلِّ أحوالك.

وانظروا –يا أحبابي الكرام– لماذا نكرِّر هذه الآية في كلِّ ركعة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لماذا؟ قد يقول –يسأل بعض الناس– أنا مهتدي الحمد لله؛ أصلي وأصوم وأزكي والحمد لله أحجُّ، لماذا كلّ ركعة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ فهنا قال الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى– في تفسيره: لأنَّ العبد محتاج إلى الهداية في كلِّ وقت وفي كلِّ لحظة من لحظات حياته، أنت محتاج إلى الهداية في لسانك، في سمعك، في بصرك، في يديك، في رجليك، في أفكارك، في آرائك؛ تحتاج أن الله يهديك في آرائك، تكون آراؤك وأفكارك مسدَّدة توافق مرضاة الله عز وجل، أنَّ الله يهدي سمعك وبصرك ويديك ورجليك فلا تستخدمها في معصية الله، إنما تستخدمها في طاعة الله سبحانه وتعالى، في مرضاته، إذن نحن بحاجة ماسَّة إلى الهداية إلى أنَّ الله يُثبِّتنا على هذا الطريق، كم من إنسان على الهداية سنوات، وبعد سنوات انتكس على عقبه وأصبح ملحدًا كافرًا منافقًا مرتدًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولهذا كان من دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام: "يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك"، كان هذا أكثر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، إذن نحن بحاجة للهداية في كلِّ أوقاتنا في الليل، في النهار، في السِّرِّ، في العلانيَّة، في ظاهرنا، في باطننا، كم من إنسان على

الهداية في ظاهره ولكن في باطنه ليس على الهداية، تجد في باطنه الكبر والرياء والنفاق والحسد والغلظة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) الله أكبر، مَنْ الذين أنعم الله عليهم؟ كما قال سبحانه وتعالى: (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

(غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)؛ من المغضوب عليهم؟ اليهود؛ لماذا؟ لأنهم عرفوا الحقَّ ولم يعملوا به.

الصراط المستقيم فيه ركنين: العلم النافع والعمل الصالح، المغضوب عليهم: علموا الحقَّ ولم يعملوا به، والضالِّين: لم يعلموا الحقَّ ولكن عملوا على جهل، فكلُّ من علم الحقَّ ولم يعمل به ففيه مشابهة من اليهود، وكلُّ من عمل على جهل وضلال ففيه مشابهة من ماذا؟ من النصارى.

فهنا استعذتَ بالله عز وجل، وسألت الله عز وجل ألاَّ تتشبه باليهود والنصارى؛ لا بأخلاقهم ولا بعقائدهم ولا بسلوكهم.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)؛ ثمَّ المسلم يقول آمين، آمين، طبعًا ليست من الفاتحة بإجماع العلماء، فيقول: آمين؛ ومعنى آمين: اللهم استجب، وهذه مستحبَّة على قول جمهور الفقهاء أنَّ المسلم يُستحبُّ له أن يقول: آمين بعد قراءة الفاتحة، لماذا؟ لأن آخر ثلاث آيات فيها دعاء، فأنت تقول: آمين، وسواء قرأت الفاتحة في داخل الصلاة أو في خارجها تقول: آمين؛ لأنه دعاء في آخر ثلاث آيات، فتقول آمين: أي يا ربّ اهدنا إلى الصراط المستقيم.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يهدنا إلى الصراط المستقيم، وأن يُوفِّقنا، وأن يُسدِّد خطانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.



www.nokbah.com